النشـــــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ٤٤ / ٢٠٠٠

الأحد ٢٩ تشرين الأول

تذكار القديسة البارة في الشهيدات

أنسطاسيا الرومية

وأبينا البار أبراميوس

اللحن الثاني

إنجيل السَحَر الثامن

الـــرســالـــة (كورنثوس ١١ : ٣١ ٣٣ ؛ ١٢: ١-٩)

الإنـــجـــيـــل (لوقا ٨ : ٤١ -٥٦)

+ البار ابراميوس

تُعيِّد الكنيسة المقدسة في التاسع والعشرين من تشرين الأول لتذكار البـــار ابراميوس وابنة أخيه مريم الرهاويين.

لقد كتب القديس افرام السرياني سيرة البار ابراميـــوس وأســماه «ابراهيـــم الثاني» لما أظهره من أمانة تجاه الرب.

ولد ابراميوس في أوائل القرن الرابع، في مدينة الرهـــا، لوالديـــن تقييـــن وغنيين جداً، ربَّياه على الإيمان القويم والتقوى ومحبة الفضيلة كما حرصا علـــى

تأمين التحصيل العلمي له لكي يصل إلى المناصب الفضلى، لكن رغبة ابراميوس كانت تختلف عن رغبة والديه، إذ أظهر انعطافاً كبيراً نحو الفضائل المسيحية وحب التوحد والنسك والابتعاد عن الأمور الدنيوية، فانكب على دراسة الكتاب المقدس ولم يعد يبارح الكنيسة ولا يفوت صلاة.

حاول والداه تغيير مسار حياته فخطبا له فتاة أجبراه على الزواج بها. وفي ليلة الزفاف، وفيما الجميع يحتفلون، هرب ابراميوس من منزله قبل أن يعرف زوجته، ومضى إلى البرية حيث وجد قلاية صغيرة معزولة أوى إليها بفرح شاكراً الله. كان عمره يومها عشرين سنة.

بقي أهله يفتشون عنه سبعة عشر يوماً إلى أن وجدوه في القلاية. حاولوا إقناعه بالعودة إلى حياة العالم لكنه أصرّ على البقاء في النسك، وحثَّهم على الصلاة من أجله لكي يمنحه الله نعمة أن يحمل على عاتقه، إلى نهاية حياته، نير التوبة الذي ألهمه الله أن يحمله. فاضطروا أن يتركوه بسلام ويعودوا أدراجهم. أما هو فسدّ باب القلاية بالحجر والطين وأبقى طاقة صغيرة يتلقى عبرها القوت في الوقت المناسب.

بلغ ابراميوس درجة سامية من الكمال في فترة قصيرة وحصل على هداوة الروح ونقاوة العقل والسلام الداخلي. ذاع صيته فتوافد إليه المؤمنون طالبين الإرشاد والصلاة من أجلهم. أما هو فكان يشجّع ضعيفي النفوس ويرشد المشكّكين ويصلّي من أجلهم. وبعد فترة إثنتي عشرة سنة توفي والداه، فأوكل ابراميوس إلى أحد أصحابه الأمناء أن يبيع كل الأملاك ويوزّعها على الفقراء. وهكذا أصبح بالفعل حراً من أثقال الدنيا، ولم يبقَ له سوى ثوبه الرثّ والحصيرة التي ينام عليها.

في ذلك الوقت، واجهت أسقف مدينة الرها مشكلة مع الوثنيين في تلك المدينة إذ أصبحوا أشدّ قساوة مع مَن كان يأتيهم مبشِّراً إياهم بالمسيح، ولم يستطع أحد أن يجلبهم إلى الإيمان. أخبر الكهنة أسقفهم عن أبراميوس وفضائله، فارتأى الأسقف أن يرسم أبراميوس كاهناً ليبشِّر الوثنيين، وقصده في منسكه ليقنعه بالأمر، لكن أبراميوس رفض الفكرة أولاً لكنه رضخ أخيراً لإرادة الأسقف رغماً عن إرادته، وبدأ مرحلة جديدة من حياته.

صلَّى أبراميوس إلى الله واتّكل عليه في عمله، وكان أول ما قام به بناء كنيسة ليجتمع فيها المؤمنون، وبدأ يعظ أبناء المدينة، لكن قلوبهم كانت غليظة فلم

يهتدوا. وكان يسير كل يوم في شوارع المدينة بين الأصنام، إلى أن احتدمت في نفسه غيرة الرب وقام بتحطيمها مع المذابح الوثنية. هجم عليه الوثنيون وضربوه بقساوةٍ وأخرجوه خارج المدينة. عاد ليلاً، سراً، إلى كنيسته وتضرَّع إلى الله لكي يترأف بشعبه ويهديهم. أما هم ففتشوا عنه وانهالوا عليه ضرباً فيما كان يحاول إقناعهم بالإيمان بالله، ثم ربطوه بحبل وسحبوه في شوارع المدينة ورجموه بالحجارة، وأخيراً تركوه خارج أسوار المدينة بين حي وميت. أنهضته نعمة الله وعاد إلى الكنيسة ليصلّي من أجل الذين ضربوه. ولما رأوه في الصباح التالي يصلّي ويرتل ويسبِّح الله أعادوا الكرَّة وضربوه ضرباً مبرحاً. وبمقدار قساوتهم كان صبره وإيمانه ورجاؤه بالله.

بقي أبراميوس يحتمل منهم العذابات مدة ثلاث سنوات، لم يستطع خلالها إقناعهم، لكنه كان دائم التضرَّع إلى الخالق لكي ينير عقولهم. وفي أحد الأيام، فيما كانوا يتحدّثون عن صبر أبراميوس ومحبته تجاههم، تحرّكت قلوبهم وأقرّوا أن إله أبراميوس هو الإله الحقيقي، وذلك استناداً إلى تصرّف أبراميوس معهم. جاؤوا إلى أبراميوس وأعلنوا إيمانهم بالله فعمّدهم وكان عددهم نحو الألف. وبقي يعلّمهم مدة سنة كاملة، يشرح لهم الكتب ويوطّدهم في الفضائل.

وبعدما أيقن أبراميوس ثباتهم في الإيمان ترك المدينة سراً، بعد أن باركها ثلاثاً بإشارة الصليب، وقصد البرية حيث لم يستطع أحد العثور عليه. بكى الشعب بكاءً مراً على غيابه، ورفعوا الأمر للأسقف فأقام عليهم كهنة من بينهم. فرح أبراميوس للأمر وعاد إلى منسكه الأول، وصاروا يقصدونه من وقت لآخر لأخذ الإرشادات.

لم يدع الشيطان أبراميوس يرتاح، خاصة بعد نجاحه في الإفلات من التجارب السابقة. حاربه بفكر الكبرياء والمجد الباطل، إلا ان تواضع القديس كان يطرد كل فكر شرير. حاربه أيضاً بالصور المرعبة ولكنه لم ينثنِ عن محبة الله، وكان كلما سقط أخ في خطيئة يذرف الدموع ويتضرّع إلى الله من أجله ليخلص.

التجربة الأخيرة كانت ما حصل لابنة أخيه مريم التي تيتّمت وأوكل إليه أمر رعايتها فوضعها في قلاية قريبة منه، لها نافذة من ناحيته، وانكبّ على تعليمها الصلوات والفضائل المسيحية فاكتسبت الكثير منه، حتى أنها أدهشت القديس افرام السرياني بسمو حياتها المسيحية. لكن الشيطان عمل بعد عشرين سنة على

إسقاطها عن طريق راهب شرير أغواها وأغرقها في خطيئة الزنى. ولما وعت خطيئتها دبَّ فيها اليأس وهربت إلى مهنة الفجور تاركة عمها أبراميوس وحده.

حزن أبراميوس لغياب مريم وبكى كثيراً وصلَّى مدة سنتين لأجلها، إلى أن علم بمكان وجودها وعملها. تنكّر في ثياب جندي وامتطى حصاناً وقصد المدينة حيث هي. هناك أعطى صاحب الفندق مالاً ليرتب له موعداً مع تلك الفتاة. وبعدما أكل لحماً وشرب خمراً اختلى بها في غرفته وكشف لها عن وجهه. لما عرفته كادت تموت من شدة الخجل، أما هو فحضنها برأفته ومحبته وشجعها على العودة معه إلى حياة النسك، مؤكداً لها انه سوف يحمل خطيئتها وسوف يقوم بالجهادات اللازمة عنها لكي يغفر الله لها، وإن الله يغفر للتائبين بصدق.

عادت معه، وكان فرحه بعودتها كفرح الأب بعودة الإبن الضال، وكان دائم الصلاة من أجلها. أما هي فباشرت حياة توبة قاسية، بالأصوام والأسهار والصلوات ولبس المسح. وقد منحها الله لاحقاً نعمة موهبة الأشفية. واستمرت في هذه الحياة مدة خمس عشرة سنة، رقدت في نهايتها بسلام، وانبعث من وجهها نور عظيم ساعة موتها. فمجد جميع الحاضرين الله القابل التوبة الحقيقية.

أما أبراميوس فلم يعش بعد عودة مريم إلا عشر سنوات قضاها في شكر دائم لله على عودة ابنة أخيه، وكان عزاؤه كبيراً بمشاهدتها تتقدم في حياة القداسة. وكان رقاده بالرب بسلام عام ٣٧٠. فبشفاعاتهما أللّهم ارحمنا وخلّصنا آمين.

+ الشياطين

«اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو. فقاوموه راسخين في الإيمان عالمين ان نفس هذه الآلام تُجرى على إخوتكم الذين في العالم» (١ بط٥: ٨و٩).

إضافة إلى المخلوقات الروحية التي تعمل إرادة الله، هناك، وبحسب الإيمان الأرثوذكسي، مخلوقات تمرّدت على الله وتعمل الشر: إبليس أو الشيطان. هؤلاء هم الملائكة الساقطون. الله خلق الملائكة أحراراً. وحده لوسيفوروس أساء استعمال حريته وقال: «أصعد إلى السموات، أرفع كرسي فوق كواكب الله وأجلس على جبل الاجتماع في أقاصي الشمال. أصعد فوق مرتفعات السحاب. **أصير مثل العلي**» (اشعياء ١٤: ١٣ و١٤). وكان نتيجة محاولته هذه ان انحدر «إلى الهاوية إلى أسافل الجب» (اشعياء ١٤:١٥). أراد أن يصير مثل الله، وتبعه عدد كبير

من الملائكة، فسقطوا جميعهم وصاروا الشياطين، الأشرار. وعاقبهم الله بأنه لم يمنحهم فرصة للتوبة والعودة إلى الملكوت المفقود. في حين أعطى الإنسان فرصة للتوبة والعودة. وقد فسر بعض الآباء هذا العقاب بأن الملائكة سقطوا دون تجربة من أحد، أي انه لم يجرَّبوا وسقطوا، في حين سقط الإنسان نتيجة تجربة إبليس له، لذلك منحه هذه الفرصة.

يقول البعض ان لا وجود لإبليس وللشياطين، وان الشيطان هو تجسيد للشر. من يقول هذا لا يعرف الكتاب جيداً، إذ نقرأ في أناجيل متى ومرقس ولوقا عن أمر المجنون الذي مسّته الشياطين التي عندما رأت يسوع طلبت منه أن تُخرج من المجنون وتدخل في قطيع الخنازير (متى ٨: ٢٨٣٤؛ مرقس ٥: ١٢٠؛ لوقا ٨: ٢٦٣٩)، كما نقرأ عن عجائب كثيرة عن طرد الشياطين. من يؤمن بوجود الملائكة عليه أن يؤمن بوجود الشياطين.

الشيطان (العدو، الشرير) هو الإسم الأكثر تداولاً لإبليس وكل الأرواح الشريرة. وغالباً ما يصوَّر على شكل حية (تك ٣). هو المجرب لأيوب (١: ٦) وللرب يسوع (متى ٤). لقد سمّاه الرب يسوع «الكذاب وأبو الكذاب» (يو ٨:٤٤)، و«رئيس هذا العالم» (يو١٢: ٣١، ١٤: ٣٠، ١٦: ١١). هو الساقط «مثل البرق من السماء» (لو١٠:١٨)، انه الذي دخل في يهوذا ليخون يسوع ويسلّمه إلى الصلب (لو٢٢:٣).

عمل الشياطين أن يجرّبوا البشر ويسقطوهم في المكائد. لا يستطيع الشيطان تجربة الله والملائكة لأن الملائكة ثابتون في موقعهم الروحي، لذلك يحاول إسقاط البشر. ولكن إن كان لدينا الإيمان الكافي لا ينجح الشيطان في مخططاته. لهذا يقول لنا الرسول بولس: «أخيراً يا إخوتي، تقوّوا في الرب وفي شدة قوته. البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس. فإن مصارعتنا ليست مع دمٍ ولحمٍ بل مع الرؤساء، مع السلاطين... مع أجناد الشر الروحية في السماويات. من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تقاوموا في اليوم الشرير، وبعد ان تتمّوا كل شيء أن تثبتوا» (أفسس ٦: ١٠١٣).

لقد وعى الرسل والقديسون في الكنيسة، نتيجة خبرتهم الشخصية، قدرة الشيطان على تدمير الإنسان، ولكنهم وعوا أيضاً عجز هذه القدرة عندما يكون الإنسان مع الله، مملوءاً من الروح القدس. كما وعوا انه لا يوجد مكان وسيط بين الله والشيطان. إما أن تكون مع الله وتخدمه، أو مع الشيطان وتخدمه. والغلبة

في اليوم الأخير سوف تكون لله ومن معه (رؤيا ١٢ و٢٠)، ويُدمر الشيطان وجميع قواته.

الشياطين (كما قلنا في العدد السابق عن الملائكة) ليسوا بهيئة الشر، ولا يرتدون ثياباً حمراء ولهم قرون كما يصوَّرون. إنها مجرد صور لتُظهر بشاعة الشرير. المهم أن يعي الإنسان أن الشيطان ذكي إلى أبعد حدود الذكاء. ألم يحاول أن يجرب الرب يسوع باستعماله آيات من الكتاب المقدس (متى ٤)؟ الشيطان غشاش كبير حتى انه يستطيع أن يغيِّر شكله إلى شبه ملاك نور» (٢ كور ١١: ١٤) ليسقط الإنسان. المهم بالنسبة لنا اننا نستطيع الإفلات من تجارب الشرير. كيف؟ إذا كنتم كما قال بولس الرسول «ممنطقين أحقاءكم بالحق ولابسين درع البر، وحاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام، حاملين فوق الكل ترس الإيمان الذي به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة» (أفسس ٦: ١٤١٦).

+ اجتماع أرثوذكسي كاثوليكي

في إطار اجتماع مجلس البطاركة والأساقفة الكاثوليك السنوي، لبّى غبطة البطريرك إغناطيوس الرابع الدعوة لحضور الجلسة الأولى، وقد رافقه سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس، سيادة المطران جورج (خضر)، سيادة المطران المنتخب لأبرشية حلب الأرشمندريت بولس (يازجي) وقدس الأب بولس (وهبه).

وقد أصدرت أمانة سر مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك البيان الآتي:

«افتتح مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك مؤتمره العاشر في بطريركية الأرمن الكاثوليك في دير سيدة بزمار، وقد خُصّص اليوم الأول الموافق يوم الثلاثاء في السابع عشر من تشرين الأول من السنة ٢٠٠٠ للقاء السنوي بين البطاركة الكاثوليك وبطاركة الروم الأرثوذكس والسريان الأرثوذكس: غبطة البطريرك إغناطيوس الرابع هزيم، وقداسة البطريرك زكا الأول عيواص، وممثل كاثوليكوس الأرمن الأرثوذكس سيادة المطران كيغام خاتشريان. ولقد أراد المجتمعون التوقف عند الأمور الحياتية والمعاني الكبيرة التي تنطوي عليها حركية التقارب والتعاون بين الكنائس، واستجابة لداعي واجبهم الرعوي تجاه أبنائهم في بلدانهم المشرقية رأى المجتمعون أن التحديات الكثيرة التي تواجههم تفرض عليهم شهادة مسيحية واحدة، وأن روحية التآلف والوحدة، وهي الروح المسكونية الحق، يجب أن تصل إلى القاعدة المسيحية (الإكليروس والمؤمنين) كي يتبلور وجدان

مسيحي في نظرتهم بعضهم إلى بعض من منطلق المحبة. عندها، يستطيعون أن يشهدوا معاً وأن يواجهوا معاً القضايا الكبيرة لكنائسهم ومجتمعاتهم بروح نبوية ترفع صوت الحق والمحبة في سبيل الإنسان، مثل:

+ الهجرة، التي يجب وضع حدّ لها.

+ والقضايا السياسية، التي يجب معالجتها باحترام حقوق الإنسان وحريته.

+ والطائفية التي يجب تجاوز ما فيها من مساوئ وتطوير ما فيها من حسنات وهي محافظة كل طائفة على ما لها من تاريخ وتراث.

+ والقضية الفلسطينية، وقد توقّف عندها المجتمعون طويلاً، ونددوا بالظلم الذي يحل بالفلسطينيين وبإهراق دمائهم، وأيدوا قيام دولة فلسطينية مستقلة عاصمتها القدس، على أساس الإنسحاب الكامل من المناطق الفلسطينية المحتلة وتنفيذ قرارات هيئة الأمم حول عودة اللاجئين.

+ والقضية العراقية، وقد رأوا ضرورة وضع حد نهائي وسريع لرفع الحصار المفروض على العراق.

ومن ثم، انتقل المجتمعون إلى الوسائل العملية التي يمكن أن تنشر روحية التعاون بين الكنائس على المستويات المختلفة كاللقاءات المشتركة، وإيصال هذه الروحية عبر المجامع المقدسة إلى المؤمنين، واللقاءات على مستوى المدارس اللاهوتية.

وعرضوا المراحل التي بلغها مشروع التعليم الديني الأرثوذكسي الكاثوليكي الموحّد الذي أقر في اجتماع الشرفة عام ١٩٩٦.

وانتهى الاجتماع بدعوة الجميع إلى غداء أقامه صاحب الغبطة المضيف البطريرك نرسيس بيدروس التاسع عشر كاثوليكوس الأرمن الكاثوليك على شرف المجتمعين».

+ تأمل

إن الذي يحيا بحسب المشيئة الإلهية لا يغتمّ ولا ينهمّ لأي شيء. فإذا احتاج لأي شيء، فإنه يفضي بحاجته تلك إلى الله، وإذا لم يحصل على هذه

العطية التي هو بحاجة إليها، فعليه أن يبقى، وبرغم كل شـــيء، هادئـــاً وكأنـــه حصل على ما يريده.

إن المتّكل على الله لا يخشى شيئاً، لا العاصفة ولا اللص؛ إنه لا يخشـــى شيئاً. ومهما حصل له يقول: «إن هذا يرضي الله قطعاً». وإذا مرض يفكر هكذا: «هذه هي العلامة أن هذا المرض يفيدني، بل هو ضروري لي، وإلاّ لما أرســـله الله».

هكذا نحفظ السلام لنفوسنا وأجسادنا. إن الذي يغتمّ لأجل نفسه لا يســـتطيع الاتّكال على المشيئة الإلهية بحيث تلقى نفســـه الراحـــة فـــي الله. لكـــن النفـــس المتواضعة تتّكل على المشيئة الإلهية وتحيا أمام الله برعدة وبحب.

إن العمل الأهم بالنسبة للإنسان هو الاتكال على المشيئة الإلهية وتحمل التجارب برجاء. وإذ يرى الرب ألمنا، لن يكلفنا أبداً أكثر من طاقتنا، وإذا بـــانت آلامنا ثقيلة، فهذه هي العلامة أننا غير متكلين بعد على المشيئة الإلهية.

إن النفس التي تعرف كيف تتكل على المشيئة الإلهية تجد الراحـــة فيـــها، لأنها تدرك بالخبرة وبالكتابات المقدسة أن السيد يحبنا ويسهر على نفوسنا، محـــوّلاً كل شيء إلى حياة جديدة بنعمته، مغمورة بسلام وبحب.

إن الذي يعرف كيف يتكل على المشيئة الإلهية لا يحزن من أي شـــيء، حتى ولو كان مريضاً، فقيراً أو مضطهداً، لأن النفس تعرف أن السيد يهتم بنـــا بحنو. والروح القدس يشهد للأفعـــال الإلهيـــة ويعـــرف الله والله «يعرفـــه». أمـــا المتكبرون فإنهم لا يطيعون ولا يريدون الاتكال علـــى المشـــيئة الإلهيـــة، لأنـــهم يرغبون في إتمام مشيئتهم الشخصية المضرة جداً للروح.

قال الأنبا بيمن: «إن إرادتنا تشبه حائط حلبة المصارعة المنتصب بيـــن الله وبيننا، وهي تمنعنا من الاقتراب منه، وتأمل مراحمه».

علينا أن نطلب دائماً من السيد سلام النفس حتى نتمكن ببساطة وبســـهولة من إتمام وصاياه، لأن السيد يحب أولئك الذين يتشددون ويغصبون أنفسهم لعمـــل مشيئته، وهكذا يجدون سلاماً كبيراً في الله.

إن الذين يتممون مشيئة الله يرضون بكل شيء، لأن نعمة المسيح تفرحهم. لكن الذي يحيا في عدم الرضى دائماً والمتأفف الشاكي من المرض أو من الـــذي أغضبه وأحزنه، فليعرف جيداً، أنه في حالة الكبرياء، تلك، قد خلع عنـــه نعمـــة الشكر لله.

حتى ولو تملكتك هذه الحالة فلا تفقد الجرأة، بل تقو وضع كل رجائك في الله واطلب منه عقلاً متضعاً. وعندما يقترب منك الروح القدس المتواضع ستبدأ بمحبته وتجد الراحة.

إن النفس المتواضعة تذكر الله دوماً وتفكر هكذا: «إن الذي خلقني وتعذب لأجلي، وهو يغفر خطاياي ويعزيني ويغذيني ويهتم بي، فكيف لي أن أهتم أو أخاف، حتى ولو هددني الموت؟!

إن السيد الرب ينير كل نفس ألقت أحمالها وثقلها وانصاعت لمشيئته، لأنه هو قال: «وادعني في يوم الضيق فأنقذك وتمجدني» (مز ٤٩: ١٥).

إن كل نفس مضطربة أو مغتمة في شيء عليها أن ترجو السيد الخلاص وهو سينيرها، خاصة في حزنها وفي الشدة؛ وإذا لم يحصل المرء على رجائه فليرجع إلى أبيه الروحي لأن أباه أكثر اتضاعاً منه فسيساعده.

القديس سلوان الاثوسي